

ثائر صالح: بيتش مدينة العشاق

صدرت في مجلة الفيصل، عدد 364



1 صورة الكاتدرائية

مدينة بيتش (بيچ Pécs) من أجمل المدن المجرية، غنية بتاريخها وتراثها وزراعتها وصناعاتها وثقافتها، جوها معتدل وموقعها خلاب، إذ تمتد على السفوح الجنوبية لجبال مَتْسَك التي تحميها من الريح الشمالية الباردة، وتمتد جنوبها وشرقها تلال خصبة، ويقع غربها سهل درافا. تقع المدينة على ارتفاع يتراوح بين 120-380 متراً فوق سطح البحر. هذا الموقع جعل المدينة تمتع بمناخ شبه متوسطي sub-Mediterranean ولذلك اشتهرت المنطقة بزراعة الكروم وتثمر فيها الفواكه المتوسطية مثل التين. شتاؤها معتدل وصيفها حار وخريفها طويل. معدل درجة الحرارة السنوي فيها 11 درجة مئوية، ويبلغ معدل الأمطار السنوي 670 ملمتراً، وعدد الساعات المشمسة يفوق 2000 ساعة سنوياً.

هذا عن طبيعة المدينة ومحيطها، ولتخيل الحياة في المدينة نذكر بعض المعطيات الأخرى: تعمل في بيتش اليوم خمسة مسارح، ولديها فرقة موسيقية فلهارمونية، واشتهرت فرقتها للباليه، وتصدر فيها مجلات أدبية مرموقة، وفيها العديد من المتاحف التي تتركز في شارع المتاحف، ولها جامعاتها العريقة التي يدرس فيها اليوم نحو 30 ألف طالب بينهم أعداد من الطلبة العرب، ومراكز العلم والأبحاث، وتقام فيها العديد من المهرجانات على امتداد العام. خلاصة القول تجمع بيتش بين تراث الماضي المتمثل في الإرث

الذي يمتد لأكثر من ألفي سنة، وبين الإبداع الثقافي المعاصر، وتفتخر بتنوعها الثقافي والإثني حيث تراكمت الثقافات الشرقية والغربية، الرومانية والعثمانية التركية والسلافية والألمانية والمجرية وتفاعلت لتعطي هذا المزيج المتناغم الذي نسميه اليوم بيتش. كل هذا أسهم في تحول بيتش إلى مقصد سياحي معروف.

وما دمنا ذكرنا السياحة، لا بد من الحديث عن واحد من أغرب المشاهد السياحية في المدينة، إذ نجد في شارع يانوس بانونيوس سياجاً وضعت عليه آلاف الأقفال، وهي عادة بدأت في خمسينيات القرن العشرين وأضحت اليوم رمزاً للحب، إذ اعتاد العاشقان تعليق قفلاً على السياج وغلقة ثم رمي المفتاح بصورة مشتركة بحيث لا يعثر عليه أحد، أملاً في بقاء الحبيين سوية وتجنب الانفصال، لأن فتح القفل يعني ذلك. وأصبح السياج وأقفاله موقِعاً يزوره السواح. ويتواجد في المدينة عدد من الفنادق المريحة والنزل الرخيصة تلائم كل الأذواق وتناسب محافظ النقود المختلفة في سُمكها، بالإضافة إلى عشرات المطاعم التي تتباهى بمطابخها المتنوعة، وتبرز بينها مطاعم اللحوم البرية، مثل مطعم الصياد الواقع في طرف المدينة.

تاريخ المدينة

كانت المدينة مركزاً سكنياً منذ آلاف السنين. فقد سكنها الإنسان القديم في عصور ما قبل التاريخ حيث عثر في المغاور القريبة على أدلة لتواجد بشري هناك قبل 60-80 ألف سنة، كما عثر على آثار منطقة سكنية أحيطت بتحصينات تعود إلى العصر الحجري الحديث كانت مأهولة قبل ستة آلاف سنة خلت. سكنتها في العصور التاريخية أقوام مختلفة مثل الكلتيين (السلتيين) قبل أن تصبح جزءاً من الإمبراطورية الرومانية ومركزاً لولاية رومانية هي بانونيا فاليريا Pannonia Valeria وكان إسمها سوبياني Sopianae. حكم الرومان المدينة والمنطقة المعروفة بأسم ما وراء الدانوب لأربعة قرون، ونجد اليوم الكثير من الآثار التي تعود إلى تلك الفترة، منها كنائس مسيحية ومقابر، وبنيت كاتدرائية المدينة على أسس كنائس تعود إلى تلك الفترة. واشتهرت بيتش في تلك العصور بمنتجاتها الزراعية مثل الفواكه والكرام التي صنع منها الرومان الخمر، وبما استخرج من جبالها من صخر للبناء. وعزز من مكانة المدينة وراثتها مرور أربعة طرق تجارية وعسكرية فيها.

ثم احتلتها جحافل الهون في حوالي 433 ميلادية، تبعتهم أقوام متعددة مثل القوطيين واللونغوبارديين والأفاريين. وأشارت وثيقة لأسقف مدينة زالتسبورغ حررت في 803 ميلادية إلى تدشين كنيسة اسمها Quinque Basilicas أي المدافن الخمس وعلى هذا الأساس أصبحت المدينة تعرف بأسم Quinque Basilicae، ولاحقاً باسم Quinque Ecclesiae أي الكنائس الخمس، والتي بنيت على أسس مدافن خمسة مسيحيين قتلوا في العهود الوثنية فاعتبرتهم الكنيسة المسيحية شهداء.

آخر موجة بشرية كبيرة اجتاحت حوض الكاربات جاءت في السنوات الأخيرة من القرن التاسع الميلادي عندما قدم تحالف القبائل المجرية من الشرق ليستقروا في المنطقة، وقد وصلوا بيتش التي كانت تابعة لإمبراطورية شارلمان في العام الميلادي 899 تقريباً. ولربما ضم هذا التحالف إلى جانب المجرين أقواماً

تركية وإيرانية، وتشير الدلائل إلى أن جزءاً ممن جاء مع التحالف لربما كان يدين بالإسلام، لكن الغالبية اعتنقت ديانة طبيعية بدائية ميزت المجريين أثناء تواجدهم في موطنهم الأصلي في أواسط آسيا، حيث تجاوروا مع الشعوب التركية والإيرانية. وتعود إلى تلك الفترة الكلمات المجرية المشتركة مع اللغات التركية والإيرانية. وقد تنافست في الماضي نظريتان حول أصل المجريين، تدعم الأولى الأصل التركي وكان من بين أهم مؤيديها المستشرق آر مين فامبيري وبعده المستشرق جولا جرمانوس، والثانية تقول بالإنتماء إلى عائلة الشعوب الفنو- أوغورية، والتي سادت لاحقاً منذ بداية القرن العشرين. فقد أختار المثقفون المجريون الإنتماء إلى هذه المجموعة الصغيرة التي تضم الفنلنديين وبعض شعوب بحر البلطيق وقبائل بدائية في سيبيريا وشرقي جبال الأورال، على أن ينتموا إلى الشعوب التركية لأسباب سياسية على ما يبدو، تتمثل في العداء الأوروبي التقليدي للإمبراطورية العثمانية (برغم التحالف الذي قام لاحقاً بين ألمانيا وإمبراطورية النمسا - المجر مع العثمانيين في الحرب الأولى). وأصبحت نظرية الأصل الفنو- أوغوري النظرية الرسمية المعتمدة لدى أكاديمية العلوم المجرية إلى يومنا هذا، برغم الدلائل العديدة التي تشير إلى احتمال صحة الأصل الطوراني التركي. أما الأتراك أنفسهم فهم يصنفون المجريين ضمن الشعوب التركية لاعتبارات لغوية وأنثروبولوجية وثقافية.

نعود إلى مدينة بيتش، فنقول أن أول ذكر لهذا الإسم في المصادر التاريخية يرجع إلى العام 1291، على هيئة "قلعة بيتش"، وقبلها ذكرت كلمة "طريق بيتش" في وثيقة تعود إلى العام 1093 على عهد الملك المجري لاسلو الأول، وبصيغة Peuch. وقد اختلف الباحثون في تفسير هذه الكلمة وأصلها. فالرأي الغالب يقول أنها كلمة صربية-كرواتية تعني فرناً أو تنوراً أو صخرة. في حين يرى آخرون أن الكلمة تركية الأصل وتعني أيضاً صخرة. لكن الجميع يعتقد بوجود علاقة ما لهذا الإسم بالرقم خمسة، أي بالاسم القديم للمدينة (الكنايس الخمس) لكن لم يحصل إتفاق لحد الآن على اللغة التي استنبطت منها هذه الكلمة. وأغامر بالإفتراس أن احتمال وجود أصل إيراني للكلمة هو أمر وارد، بسبب وجود كلمات إيرانية الأصل كثيرة في اللغة المجرية مما يستعمل في الأعداد، مثل رقم مائة (ساز száz بالمجرية وتقابل صد الفارسية)، ورقم ألف (أزر ezer بالمجرية وتقابل هزار بالفارسية). لذا قد تكون كلمة بيتش مشتقة من الرقم بنج (بينتش) باللغات الإيرانية. وتعزز هذا الرأي قرابة أسماء بعض أيام الإسبوع في اللغة المجرية إلى الفارسية، التي دخلت عن طريق اللغات السلافية مثل يوم الأربعاء (سردا Szerda)، القريب إلى الرقم ثلاثة (سي)، والخميس (تسرتوك Csütörtök) القريب إلى الرقم أربعة (جهار) والجمعة (بينتك Péntek) القريب إلى الرقم خمسة (بنج).

بعد أن أعتنق الملك المجري إشتفان (سطفان) المسيحية، منحه البابا سيلفستر التاج في عيد ميلاد العام 1000، وقد حكم إشتفان بين 997-1038. فرض إشتفان اعتناق المسيحية على المجريين الذين كانوا يدينون بديانة وثنية بدائية تعد من الديانات الطبيعية كما ذكرنا، وقد قابل زعماء القبائل ذلك بمعارضة شديدة قمعت بالقوة. وكان هذا نصراً للبابوية التي نجحت في "ترويض" الوثنيين المجريين الذين ما لبثوا يهددون الممالك الأوروبية بغاراتهم، بالمقابل عنى ذلك احتواء هذا الشعب الآسيوي الشرقي ضمن النظام السياسي الأوروبي.

في العام 1009 بدأ تنظيم البلاد على أساس الأسقفيات بعد قمع تمرد القائد آيتون، وحددت مدينة بيتش مركزاً لواحدة من هذه الأسقفيات، تمتد حدودها حتى الدانوب شرقاً وبحيرة البالاتون شمالاً. وكان لذلك تأثيره على نشوء المدارس والجامعات، فقد برزت الحاجة لتعليم رجال الدين اللغة اللاتينية وعلم اللاهوت (باللغة اللاتينية)، وبدأت حركة استنساخ الكتب الدينية بالدرجة الأولى. وتدل القرائن على أن بناء كاتدرائية المدينة قد بدأ في تلك الأيام، على أسس معابد قديمة تعود إلى القرن الرابع الميلادي. ولا يعرف حجم الدمار الذي لحق بمدينة بيتش عند اجتياح التتار لحوض الكاربات في 1242، ومطاردتهم الملك المجري بيلا الرابع حتى البحر الأدرياتي. وعلى أية حال كان النصف الثاني من القرن الثالث عشر مضطرباً قبل أن تأتي فترة من الإزدهار في القرن التالي. فقد شيدت أول جامعة في المدينة سنة 1367 ميلادية (وهي أول جامعة في المجر أيضاً) بأمر من الملك لايش (لويس) الأول، وافتتحت في مدينة بيتش أول مكتبة عامة في المجر سنة 1440. وبفعل هذا النشاط الثقافي أضحت بيتش مركزاً من مراكز الثقافة والعلم في وسط أوروبا خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر. وبرز اسم الكاتب والشاعر يانوس بانونيوس (أسقف بيتش بين 1459-1472 واسمه الأصلي يانوش تشزْميتسي) بين مفكري عصر النهضة الذين تميزوا بفكرهم الإنساني. عاش بانونيوس في عهد الملك المجري الشهير ماتياش، الذي تميز برعاية الفنون والعلوم والآداب فأصبح بلاطه واحداً من أشهر بلاطات أوروبا في عصر النهضة. وفي تلك الفترة أيضاً شيد السكان المتحدرون من أصل فرنسي وبلجيكي (فألون) كنيسة القديس برتلان الواقعة في ساحة سينشيني اليوم والتي هدّها الأتراك لاحقاً لبناء جامع الغازي قاسم باشا، إذ كانت قائمة في ثلاثينيات القرن الرابع عشر.

بيتش في ظل الحكم العثماني:

اندفعت الجيوش العثمانية بعد احتلالها البلقان وبلغاريا نحو المجر ووسط أوروبا. وعانى الجيش المجري والجيوش الأوروبية المحاربة معه من هزيمة ساحقة في معركة موهاتش عصر يوم 29 أغسطس (آب) 1526. وتقع موهاتش على الدانوب قريباً إلى مدينة بيتش، واشترك في المعركة عدد من نبلاء مدينة بيتش واسقفها، وسقط أكثرهم في ساحة القتال. وتألّف جيش السلطان سليمان الثاني من 50 ألف محارب، بينهم 20 ألف انكشاري مجهز تجهيزاً جيداً، و30 ألف فارس مسلح تسليحاً خفيفاً مع مدفعية قليلة العدد. أما الجيش المجري فبلغ تعداده 25 ألف مقاتل، جله من القوّاسين، وتألّف سلاح الخيالة من الفرسان الثقيلين بالدروع ومن فرسان خفيفين. وكانت معركة موهاتش آخر معركة استعمل فيها سلاح الفرسان المتقل بالدروع في التاريخ العسكري الأوروبي، حيث ثبت عجزه أمام مناورات الفرسان الأتراك الخفيفين. لم تدم المعركة أكثر من ساعتين فقد فيها الجيش المجري نحو ألف من النبلاء وعشرة آلاف من المشاة وأربعة آلاف فارس.

بعد ورود أخبار الهزيمة هرب رجالات بيتش حاملين معهم ما تمكنوا من ثروة وكنوز مملوكة من قبل الأسقفية. غير أن السلطان سليمان الثاني لم يغادر معسكره لعدة أيام بعد المعركة، ولم يتوجه نحو بيتش بل انطلق نحو العاصمة بودا التي دخلها دون مقاومة في 11 سبتمبر (أيلول) لكنه غادرها بعد أن أضرم النار

فيها، في حين هاجمت مجموعات من الجنود العثمانيون بيتش التي بقيت من دون دفاعات، فسلم السكان المدينة التي استباحها الجنود الذين نهبوا وقتلوا من تبقى فيها وأحرقوها قبل انسحابهم. احتل سليمان قلعة بودا في 29 أغسطس (آب) 1541 لتبقى هذه المرة تحت الحكم العثماني لغاية 1686، وكان يرغب في احتلال بيتش قبل الشتاء ليؤمن خطوط مواصلات جيشه، غير أنه فشل في ذلك ولم يتمكن من إحتلالها إلا في يونيو (حزيران) 1543، عندما دخل قاسم بك وقواته المدينة. وقد لقب قاسم باشا فيما بعد بالغازي لغزوه بيتش. الحقت المدينة بسنجد موهاتش في البداية، ثم أصبحت مركزاً لسنجد كانيجا بعد احتلال قلعة كانيجا في 1600 ميلادية. ويذكر أن نسبة كبيرة من وحدات الجيش العثماني التي رابطت في هذه الأصقاع تألفت من أبناء الشعوب التي أخضعها العثمانيون، مثل السلاف الجنوبيين كالبوشناق (البوسنيين) والأكراد وغيرهم. ولا تزال بعض العوائل المجرية تحمل لقب كردي لحد اليوم. وهناك منطقة قريبة إلى بيتش تسمى غابة الباشا الكردي وفيها قبره. كما جاء إلى المدينة للسكن مسلمون من البوشناق واشتهروا بصناعة الجلود، ووصلت بضاعتهم الفاخرة إلى ألمانيا غرباً والأسنانة في الشرق. يصف المؤرخ التركي جلال زاده مصطفى مدينة بيتش على النحو التالي: ”.. وتعتبر قلعة بيتشوي [تسمية بيتش في المصادر التركية] من بين أهم قلاع هذه المنطقة، فقد بنيت وسط سهل واسع، وهي مدينة قديمة وكبيرة كأنها الجنة؛ تحيط بها الحدائق وبساتين الزهور؛ وكل صورة من صورها تصلح لتكون صورة للجنة..“.

أما الرحالة التركي الشهير أوليا جلبي فيصف أبنية المدينة في السطور التالية: ”يوجد حمام نظيف وجميل مقابل محراب جامع قاسم باشا على الجانب الآخر من الطريق إلى اليسار ذاع صيته في كل مكان؛ فمأوه وهوؤه وبنائته كلها لطيفة. منزع الحمام واسع، وفوقه قبة، يتوسطه حوض من رخام أبيض اللون لا يمكن وصفه لجماله... وفي وسط الحوض توجد نافورة كأسها برونزية تلتصق كالذهب، تتسع لخمس عشرة رجلاً. ويصب في الكأس ماء الحياة ينبثق من أفواه إثني عشر تمثالاً على هيئة تنانين. هذه الكأس الفنية جعلها صانعها الماهر تستند على رؤوس ثلاثة ثيران برونزية ودروع ثلاث سلاحف برونزية، فتستوقف عقل المشاهد ويتسمر لمراها“. ثم يصف السوق التي كانت تقع في شارع كوشوت وساحة سيتشيني وفيها أربعمئة دكان وتوجد فيها بضائع الهند واليمن. ومن المعروف أن أوليا جلبي أمضى في الأراضي المجرية التي خضعت للسلطان قرابة سنتين (1660-1662)، ووصف أحوال مدن المجر في ذلك الوقت. نعمت المدينة باستقرار وسلام دام لنصف قرن، حتى اندلعت حرب الخمسة عشر عاماً (بين 1591-1606). فقد مارست جماعات الجنود المجرين الفقراء عمليات السطو في مناطق واسعة، وكذلك الوحدات العسكرية التركية السائبة. ويصف مؤرخ من أهالي بيتش هو ابراهيم بيتشوي الحال في 1594 فيقول: ”وحتى أنا في بيتي الفقير في بيتش أخلد إلى النوم عند حلول الظلام وأنا قابض على السيف وأحتضن بندقيتي“.

وكان العام 1664 من أسوأ السنوات، عندما وصلت قوات ميكلوش زريني المؤلفة من الألمان والمجريين والكروات إلى المدينة فنهبتها وأعملت السيف في سكانها، لكنها لم تتمكن من القلعة، وقبل انسحاب زريني بعد قرابة عشرة أيام قام جيشه بحرق المدينة كلها. بعد هذا توالى المصائب على المدينة حتى عند

تحريرها من الحكم العثماني، فقد انسحب الجيش التركي إلى القلعة بعد أن أضرم النار في المدينة، غير أن الحامية اضطرت للإستسلام في 22 أكتوبر (تشرين الأول) 1686 بعد قطع الماء عن القلعة.



2. صورة جامع غازي قاسم باشا



3. صورة جامع حسن ياكوفالي

تحررت المجر كلها من سيطرة العثمانيين، لكنها لم تستعيد استقلالها بل أصبحت محتلة وخاضعة للقيصر النمساوي من آل هابسبورغ. وقام المجريون بعدة ثورات للإستقلال باءت كلها بالفشل، كانت آخرها حرب 1848-1849 التحررية. وبعدها توصل النبلاء المجريون إلى اتفاق مع البلاط النمساوي في 1867 حصلت فيه المجر على صلاحيات واسعة وأعلن عن قيام امبراطورية النمسا - المجر. وقد دامت السيطرة النمساوية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى.

وبعد الحروب جاء الطاعون، الذي ضرب المدينة مرتين في تسعينيات القرن السابع عشر. ثم جاءت حرب التحرير المجرية التي قادها راكوتسي ضد حكم هابسبورغ النمساوي، لكن المدينة لم تتحول إلى جانب راكوتسي (وكان سكانها خليطاً من المجريين والألمان والسلاف الجنوبيين). فقامت قواته في 1704 بنهب المدينة لثلاثة أيام، وقتلت حوالي 700 شخص. لكن المصائب لم تنته عند هذا الحد، إذ قام الجانب الآخر (والمتألف من خليط الغوغاء من سكان القرى الصربية المحيطة) بفضائع فاقت الفضائع التي اقترفها الأسبقون. كل هذا حول المدينة التي كانت مزدهرة في القرون الوسطى وفي فترة الحكم العثماني إلى أطلال، واقفرت من سكانها. وفي القرن الثامن عشر استقدمت أعداد كبيرة من الألمان والصرب لإسكانها في المدينة وما حولها، وقد حافظت بيتش على تنوعها السكاني هذا حتى في الفترات اللاحقة إلى اليوم.

بيتش في العصر الحديث

بدأت المدينة بالتعافي في أوائل القرن الثامن عشر، وعاد الثراء يميز هذه المدينة الغنية بخاماتها وزراعتها، وظهرت الصناعة لاحقاً في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بفضل استخراج الفحم الأسود من مناجمها، ومدت شبكات السكك الحديدية وظهرت بعض المعامل، مثل معمل جولناي للسيراميك الذي اشتهرت منتجاته على صعيد عالمي، وشيدت معامل للجلود والسباكة والسكر والجمعة، ثم أنشأت محطة للطاقة الكهربائية.

كل ذلك ترافق مع عودة الحياة الجامعية إلى المدينة، حيث تواجدت فيها ثلاث جامعات ومعهد للتربية (معهد إعداد المعلمين)، وانتشرت المرافق الثقافية مثل المتاحف والمسرح والمكتبات. تعود معظم بنايات المدينة إلى القرن الثامن عشر، وبذلك يغلب عليها طراز عصر الباروك الذي كان سائداً حتى النصف الثاني من القرن الثامن عشر. وكانت قمة البناء في ثمانينيات القرن الثامن عشر، ففي ذلك الوقت بدأ تحطيم سور المدينة واستخدام الأراضي القريبة من السور للبناء.

أهم معالم المدينة:

تتعايش في المدينة آثار من مختلف العصور، منذ العصور الكلتية والرومانية حتى العصر الحديث. إذ تتميز المدينة منذ القدم بتنوعها السكاني حيث اجتذبت العديد من الأقوام بسبب مناخها المعتدل وغناها. ولو تتبعنا معالم المدينة حسب التسلسل التاريخي، فسنبدأ من منطقة الكاتدرائية، حيث عثر على عدد من القبور والصوامع المسيحية التي تعود إلى أواخر القرن الرابع الميلادي في العهد الروماني، وقد رسمت على جدرانها مناظر من وحي قصص العهدين القديم والجديد، مثل نوح وفلكه، وإلقاء النبي يونس في اليم. وقد صنفت منظمة اليونسكو هذه الآثار في عداد ما يجب حمايته من التراث الإنساني في سنة 2000 ميلادية. بدأ بناء الكاتدرائية الرئيسية (كاتدرائية القديس بطرس) في العام الميلادي 1040 في منطقة غنية بالآثار الرومانية. وبعد الإكتساح المغولي (التتاري) في 1242، ومن ثم الحريق الذي التهم الأجزاء الخشبية المتبقية من الكنيسة في 1299، جرت إعادة بنائها تماماً في الثلث الأول من القرن الرابع عشر، وقد انجز البناء ورسم الجداريات في 1345. وفي 1543 حول الأتراك العثمانيون الجزء الغربي منها إلى جامع في البداية (هو جامع السلطان سليمان)، ثم استخدمت البناية كمدرسة ومخزن أسلحة ومخزن حبوب فيما بعد في زمن أوليا جلبي. وقد حافظ العثمانيون على البناية، حتى أن أحمد أغا البلغراي قام بترميمها وأصلح برجها الجنوبي الغربي بعد أن أصابته صاعقة في 1631. وبعد تحرير المدينة رمت الكنيسة في بداية القرن الثامن عشر، ثم في سبعينيات القرن التاسع عشر حينما جرت تقوية الهيكل الداخلي. غير أن ترميمات العام 1882 دمرت الكثير من آثار القرون الوسطى الثمينة مثل الأبواب والشبابيك والجداريات. وتعد الكاتدرائية اليوم من أهم التحف المعمارية في المجر، وأغناها في تنوع أنماط بنائها وتحفها الفنية التي تعود إلى مختلف العصور على امتداد ألف عام.

تتميز الكاتدرائية بموقعها الرائع على قمة تلة صغيرة، وتتسامى أربعة أبراج ارتفاعها 60 متراً في زواياها. ويبلغ طول الكاتدرائية حوالي 70 وعرضها 22 متراً. وتشتهر كذلك كنيسةها التحنانية (وتقع تحت أرضية الكاتدرائية) التي بنيت في القرن الحادي عشر، طولها 25 متراً وعرضها 21 متراً.

بنى العثمانيون خلال حكمهم الجوامع والمدارس والحمامات، وقد حولوا بعض الكنائس إلى مساجد، في حين قاموا بهد كنيسة القديس برتلان في مركز المدينة (ساحة سيتشيني اليوم، أو ساحة السوق كما كانت تعرف في القرون السابقة) ليستعملوا مواد البناء لتشييد جامع هو جامع قاسم باشا الموجود حالياً. والبناء مربع الأبعاد طول ضلعه 28 متراً، وقطر قبته 18 متراً، شبهها أوليا جلبي بقبة جامع السلطان سليم في اسطنبول. وقد هُدم الجزء العلوي من المنارة الملحقة بالجامع في 1753، وهدم الجزء الباقي في 1766، غير أن قاعدة المنارة لا تزال مرئية اليوم. جرى ترميم الجامع في السنوات 1939-1942 ثم في 1959. ولم تنفذ خطط إعادة بناء منارتين للجامع بسبب الحرب العالمية الثانية. والجامع اليوم أهم معالم بيتش التاريخية والسياحية، وهو كنيسة مركز المدينة. وكنيسة القديس برتلان في الأصل كانت بحجم الكاتدرائية الرئيسية، وقد بنيت على أنقاض معبد روماني، حيث عثر على آثار تعود إلى العام الميلادي 240، كما عثر على ستة عشر قبراً رومانياً تحت أرضية الجامع.

بني ضريح ادريس بابا في 1591 من الحجر الكلسي وهو ثُماني الأضلاع قطره 6 أمتار وارتفاعه 8 أمتار ونصف و فوقه قبة على الطراز التركي. نجد على الجدران الداخلية كتابات تركية تعود إلى بداية القرن السابع عشر. جرى ترميم الضريح في 1912-1913، وفي 1961 انجزت فيه تنقيبات عثر خلالها على رفات الدرويش.

يقع جامع حسن ياكوفالي (حسن يعقوب علي؟) في منطقة المستشفى، بني في النصف الثاني من القرن السادس عشر. وهو من أشهر الآثار العثمانية في المجر، وأفضلها حفظاً. فهو بمنارته الرشيقة الجميلة الجامع الوحيد الذي بقي على حاله في المجر. وقد حول الجامع إلى متحف للتراث الإسلامي والعثماني في المدينة، ويضم عدداً من المحفوظات التي تعود إلى فترة الحكم العثماني، قدمت بعضها الحكومة التركية هدية، فقد قامت السلطات الأثرية بترميمه في فترة الحكم الإشتراكي، وافتتح المتحف في 1961. وجامع حسن ياكوفالي مفتوح أمام المسلمين لتأدية الصلاة فيه. وفي الأصل كان للجامع مدرسة ملحقة به، ووجدت قربه تكية اسميت تكية مولانا جلال الدين الرومي، وهو شاعر ودرويش ومؤسس الطريقة المولوية التي انتشرت في أراضي الأمبراطورية العثمانية وتركت لنا تراثاً رائعاً من شعر صوفي وموسيقى دينية صافية وتراثيل مؤثرة. يقول أوليا جلبي عن هذه التكية، أنه لم ير في بلاد الروم والعرب والعجم مثيلاً لها في جمالها. ولا يعرف وقت دمار التكية والمدرسة، فقد حصل ذلك مبكراً في حصار 1686، أو لاحقاً عند بناء المستشفى في 1714. وهناك أطلال تكية ثانية على الجبل وبقي اسمها الذي أطلق على جدول صغير هو Tettye.

المتاحف:

تعج المدينة بمختلف أنواع المتاحف لدرجة تلفت الانتباه، فهناك متاحف الآثار القديمة ومتاحف الفن التشكيلي والصناعي ومتحف التاريخ الطبيعي ومتحف تأريخ الجامعات وغيرها الكثير مما يصعب تعدادها. ويتبع عدد من المتاحف متحف يانوس بانونيوس بصفته متحف بيتش الرئيسي. وهذا استعراض سريع لبعض المتاحف:

متحف تشونتفاري: وهو مخصص للرسم المجري الموهوب تيفادار كوستكا تشونتفاري (1853-1919) الذي عرف بتصوير مناظر من أوروبا (على الخصوص البلقان) والعالم العربي، ومن أشهر لوحاته "بعلبك" و"زيارة شجرة الأرز" و"الأرزة الوحيدة" التي رسمها في لبنان، و"بئر مريم في الناصرة" و"منظر على البحر الميت" في فلسطين، كما اشتهرت لوحته "جسر موستار العتيق" كثيراً، وهو الجسر الذي تدمر في الحرب البوسنية وجرت إعادة بنائه مؤخراً.



4. صورة بناية بلدية المحافظة

متحف جولناي: تأسس معمل جولناي للسيراميك في 1853 على يد ميكلوش جولناي، لكنه لم يكن أكثر من ورشة صغيرة متواضعة لصنع الخزفيات، ثم أداره بعد 1865 فيلموش جولناي الذي طور الورشة وحصل على شهرة عالمية في معرض فيينا الدولي سنة 1873، وبالدرجة الأولى في معرض باريس الدولي في 1878. ثم جاءت الدفعة الثانية من السمعة الدولية بعد استعمال المعمل التقنية المعروفة بأسم "يوسين" التي ابتكرها عالمان كيميائيان مجريان في بداية تسعينيات القرن التاسع عشر، ولا تزال القطع الفنية التي صنعها المعمل في تلك الفترة تباع في أكبر المزادات العالمية وبأسعار باهظة. أسست عائلة جولناي المتحف في 1928 بمناسبة الذكرى المئوية لولادة فيلموش جولناي، وانتقل إلى ملكية متحف بيتش (متحف يانوس بانونيوس) في 1948، ويضم آلاف القطع الفنية الثمينة والكثير من الوثائق التاريخية والصور المتعلقة بالمعمل وعائلة جولناي الشهيرة.



5. صورة نافورة جولناي



6. صورة بناية المسرح

متحف فازارلي: ولد فكتور فازارلي (فاشار هيبي في الأصل) سنة 1906 في مدينة بيتش، وأصبح رساماً تشكلياً شهيراً على صعيد عالمي بعد هجرته إلى فرنسا في 1930، ومن أشهر لوحاته ”حمار الوحش“ التي رسمها في 1938. تميز باستعماله الأشكال الهندسية والمؤثرات البصرية وطور تقنيته في رسم اللوحات بالأبيض والأسود. افتتح المعرض في 1976، ويضم المتحف كذلك لوحات لأشهر الرسامين العالميين المعروفين الذين يمثلون الفن التشكيلي في النصف الثاني من القرن العشرين. وتحفل المدينة بالذكرى المئوية لولادة الفنان هذا العام.

بيتش العاصمة الثقافية الأوروبية للعام 2010:

ختاماً نذكر أن بيتش حصلت على لقب العاصمة الثقافية الأوروبية للعام 2010 إلى جانب مدينة أسن الألمانية (واسطنبول من تركيا المرشحة للإنضمام إلى الإتحاد الأوروبي)، وستبدأ المدينة بالتهيئة لذلك العام بشكل تدريجي. فقد خصص العام 2006 عاماً للإرث الثقافي وفيه يكتمل برنامجها المتعلق بالحفاظ على الإرث الإنساني الذي أعلنته منظمة اليونسكو في سنة 2000، والعام 2007 للتعليم والمعرفة، والعام 2008 لثقافة البيئة والحياة الصحية، والعام 2009 للثقافة الدينية احتفالاً بالذكرى الألفية لقيام اسقفية بيتش. وينعكس في برنامج هذا العام التنوع الديني، فبرغم الغالبية الكاثوليكية هناك اهتمام بالطوائف المسيحية الأخرى مثل الإنجيلية والصربية الأرثوذكسية، ويوجد في المدينة جامع حسن ياكوفالي التاريخي الذي يستعمله المسلمون لأداء الصلاة. ثم تأتي الذروة عام 2010 لتقام المهرجانات والمؤتمرات العلمية والثقافية والإحتفالات المختلفة.

ويتضمن برنامج التحضير تخصيص مبلغ 44 مليار فورنت (أكثر من 200 مليون دولار) لتطوير المدينة، منها حوالي 11 مليار لإعمار أجزاء من منطقة معمل جولناي وتحويله إلى حي ثقافي،

وتخصيص مبلغ 8 مليار فورنت لبناء قاعة موسيقى ومركز مؤتمرات وحوالي خمسة مليارات لبناء مكتبة ومركز معلومات في المنطقة الواقعة بين حي جولناي الثقافي ومركز المدينة، علاوة على تخصيص أكثر من سبعة مليارات لإعمار ساحات ومنتزهات المدينة.

ولتطوير البنية التحتية افتتح في 26 مارس (آذار) الماضي مطار بيتش-بوغان القريب الذي يبعد 6 كيلومترات عن مركز مدينة بيتش، وشغلت الخطوط النمساوية على الفور خطاً جواً مباشراً بين العاصمة فيينا ومدينة بيتش لنقل المسافرين بمعدل أربع رحلات اسبوعياً في الوقت الحاضر، وتخطط الشركة لزيادة عدد الرحلات لاحقاً. بذلك غدا من الممكن الذهاب إلى مدينة بيتش مباشرة عبر فيينا من أي مكان في العالم يرتبط بالعاصمة النمساوية بخط جوي، تؤمن ذلك رحلات جوية إلى 130 مدينة. كما يأمل المسؤولون في المطار قيام شركات السياحة الأوروبية بتنظيم رحلات خاصة (تشارتر) لنقل المسافرين من وإلى بعض المدن الأوروبية. من جانب آخر وعدت الحكومة المجرية بإنجاز بناء الطريق الخارجي السريع رقم ستة M6 الذي يربط مدينة بيتش بشبكة الخطوط السريعة الوطنية في حدود سنة 2008.